الا أن ١٩٦٧ جعلتنا نجد أنفسنا ووضعنا في ضوء جديد . ففي ذلك العام أصبح أكثر من نصف شعبنا يعيش تحت الحكم الإسرائيلي ، وصار الفلسطينيون « يهود اليهود » *. ولكننا على عكس اليهود لم نثر في نفس العالم الغربي شيئا من الشفقة أو الرحمة . أن يعود اليهود الى « وطنهم » فذلك مشهد مثير يدعو الى الاعجاب والدعم . بينما ان نفقد نحن وطننا فذلك امر لا اهمية تذكر له . وفجأة رأينا مكانتنا في أعين العالم « المتمدن » : اننا نوع أدنى من الانسانية يعيش خارج التاريخ ، اننا الهنود الحمر الجدد والزنوج لاسرائيل .

وكانت الحالة الاسوأ هي حالة فقرائنا — عمالنا وفلاحينا . اما الطبقة العليا — ملاكو الاراضي وكبار التجار والفئات المتوسطة والمتوسطة الدنيا — فقد تدبرت امورها بشكل او اخر . في ظل الحكم الاسرائيلي تواطأت هذه الطبقة مع الحكام اليهود وخلدت الى السكينة . أما في البلدان المحيطة بفلسطين فقد كانت هذه الطبقة من الفلسطينيين قد دبرت امورها المعيشية واندمجت في حياة بيئتها الجديدة . أما الشعور بفقدان الوطن فقد عبر عن نفسه عند هذه الطبقة في صورتين : صورة « مادية » تنعكس في روايات عن الغنى والاملاك التي خلفوها وراءهم ، وصورة « عاطفية » تنعكس في وطنية بلاغية مجردة عن الالتزام أو العمل السياسي الجاد .

ان الاوضاع الجديدة التي عاش في ظلها الفلسطينيون غيرت القليل من العلاقات الطبقية القديمة . لقد كانت البرجوازية والبرجوازية الصغيرة بالنسبة للفلاحين والعمال غير المهرة الذين اقتلعوا من وطنهم تمثل طبقات مالكة ومستغلة . ولم يتغير شيء في هذه العلاقة لا في ظل الاحتلال الاسرائيلي ولا في البلدان المحيطة باسرائيل . واعتبرت الطبقات العليا الظروف الرهيبة التي عاشتها الجماهير الان ، « طبيعية » مثلما كانت الظروف السابقة . ان عيش الجماهير الفلسطينية على الحسنات الدولية واستغلالها كيد عاملة رخيصة بواسطة مغتصبي أرضها لم تكن الا امتدادا فقط للاستغلال والبؤس السابقين على يد الطبقات البرجوازية والاقطاعية الوطنية . وبمعنى معين تطابق افق رؤيا الطبقات الفلسطينية المسيطرة وأفق رؤيا المحتل الاسرائيلي . لقد استغل الجانبان الجماهير الفلسطينية وعانت هذه الجماهير من استغلال الجانبين على حد سواء .

وكشفت هزيمة العام ١٩٦٧ أيضا افلاس النظام الاجتماعي والسياسي القائم ، وحطمت سيطرة الايديولوجية القديمة مفسحة المجال بذلك لبروز منظور راديكالي جديد . فقد اخذ الفلسطينيون المنضوون تحت لواء حزب البعث وحركة القوميين العرب والحزب السوري القومي الاجتماعي والحزب الشيوعي والاخوان المسلمين ينظرون الى الامور بطريقة مختلفة . واخذت الشعارات القديمة التي ترعرعت في ظل معاناة اجيال ثلاثة من البورجوازية العربية وطموحاتها تفقد معناها . وخضع المجتمع الان ككل ، بقيمه ومؤسساته وتنظيمه السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، لنقد سريع وغاضب .

ومع انهيار تبريرات الهزيمة اصبح القول بالحاجة الى تحول جذري في المجتمع العربي يتخذ معنى عينيا معينا . وهذا الادراك مثل بداية أول تغير خطير في وعي هذا الجيل . ولكن نضوج الادراك الراديكالي يتطلب تجاوز مجرد اطلاق التعميمات . الا ان هذا الوعي الجديد افتقر الى الاسس النظرية الضرورية للتحليل الشامل ، كما افتقر ايضا الى القدرة على الخروج ببرنامج وستراتيجية واضحة تنتظم حولهما القوى الاجتماعية الجديدة . وهنا ظهر التشوش الموضوعي في البيئة الاجتماعية في شكل الوعي ذاته .

ان السعي منذ العام ١٩٦٧ وراء مفهوم ثوري أدى الى ظهور أدب ثوري واسع

---

* على حد تعبير راشد حسين في احدى قصائده .